بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

سألني أحد القراء الكرام سؤالاً عابراً عن أحوال **مجلة التجديد**، وقبل أن أجيبه أضاف قائلاً: آلاف المطبوعات تظهر سنوياً وحال الأمة يزداد سوءاً على سوء، وعلّل ذلك بأن أغلب ما يكتب لم يأتِ ليوضِّح غامضاً، ولكن ليزيده غموضاً، ولعلّ ما كان واضحاً أصبح موضع تساؤلات لا تنتهي فيزداد المسلمون حيرةً و بلبلة ، ويعمِّق الخلاف بينهم فيشتِّت أمرهم. وبقي السؤال معلّقاً والإشكال قائماً. أين الخلل: في الفكر أم في المفكر أم في الاثنين معاً؟

لا شكَّ أن الفكرة الحيّة هي الفكرة التي تعطي معنىً لوجود الإنسان، وتعطي لمشيه قصداً، قال الله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ (لقمان: ١٩)، إنها الفكرة التي تعطي طعماً ومذاقاً للفعل الناجح كما تدفع الإنسان إلى الاستفادة من تجربة الفعل الذي لم يكن النجاح حليفه. فالفكرة لا تكون حيّةً إلا إذا شعر الناس بوجودها وهم يعالجون همومهم، أو و هم يفكرون في تحقيق آمالهم، تدفعهم إلى الحرص على الفهم وترشيد أعمالهم. أمَا إذا حصل انفصام بين ما يفكر فيه الإنسان وبين ما يعيشه، فإن الفكر عندها يتحول إلى حالة من الاغتراب، اغتراب يكون منشأه الضيق والاختناق، فيرحل المفكر بعقله وقلمه إلى ساحات تاريخية بعيدة، أو مناطق يغلب عليها

التجريد فيخوض مغامراته النظرية والكلامية، في هذه الحالة يصبح التفكير عائقاً عن الحركة وعن الفعل.

قد يشعر المفكر الذي يعيش قضايا مجتمعه هو الآخر بحالة من الاغتراب، ولكنه اغتراب المبدع، مثل اغتراب الأنبياء واغتراب العظماء، اغتراب المتحدي لواقع يريد تغييره. إنه اغتراب المفكر الذي يُعبِّر عن طموح مجتمعه. أما الاغتراب الذي نعنيه فهو ذلك الاغتراب الذي يجعل المفكر لا يعبِّر فقط عن طموح مجتمعه، بَلْ لا يُعبِّر عن طموح الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، فأضحى لا يعبِّر إلا عن الحدِّ الأدنى من ذاته. لم يقل غرامشي "إن المثقفين بما هم مثقفون لا يشكلون طبقة مستقلة، بل إن كلّ فئة اجتماعية لها جماعة من المثقفين خاصة بها أو هي تعمل على وجودها". إلا لأنّه نظر إليهم بوصفهم "مثقفين عضويين".

قد يؤدي هذا التصور للمثقف إلى نوعٍ من السجن في دائرة معينة، فلا يكون أكثر من ناطق بلسان الفئة التي ينتمي إليها، ولكنّه في كلّ الأحوال يعدّ حاله أفضل من حالة المثقف التائه، المثقف الذي لا يحمل قضية، عديم المسؤولية تجاه ما يحصل أمام عينيه من ظلم واعتداءات صارخة على ما يمكن أن نعدّه قاسماً مشتركاً بين الحضارات من مبادئ إنسانية وقيم أخلاقية. **إنَّ المثقف الذي لا يتَّهم أحداً، مثقفٌ غيرُ موجودٍ**، على أن يفهم الاتهام هنا بمعنى الموقف الناقد لكلِّ القوى الحيّة في المجتمع.

لقد كانت صرخة أميل زولا "إنّي أتَّهم..." إعلاناً عن ميلاد نوع جديد من المثقفين الذين يرفضون دور المتفرِّج على الأحداث، ولا يكونون شاهدين على الحق. لا نكون مجانبين للصواب إذا قلنا إن صفة السلبية أصبحت الصفة الملازمة لمثقفينا ومفكرينا في العالم الإسلامي، ونحن نعبّر هنا عن ظاهرة عامّة، فمهما كانت الصورة قاتمةً لنخبنا، وبالرغم من حالة الإحباط العامة لا يعدم العالم الإسلامي من وجود أفراد سيشهد لهم التاريخ

علي وقفاتهم الشجاعة والمضيئة. فكيف إذاً نفسّر هذا الاستسلام والإحباط اللذين يعيشهما مثقفونا ومفكرونا؟

لا يهمنا ذلك القسم من المثقفين والمفكرين الذين يزيّنون لأنفسهم قولاً زائفاً، ويدَّعون ضرورة النظر في حركة الواقع من الخارج وعدم الانغماس في مشكلاته، لأن النظر من بُعْد، ورصد هذه التحولات الاجتماعيّة بشيء من الموضوعيّة التي تمكّن الباحث من الفهم، وبالنتيجة من التوجيه والترشيد لهذه التحولات. إن الحرص على الموضوعية في فهم القوانين التي تحكم حركة المجتمع أمر لا يمكن إلا أن نسلّم بجدواه، ولكن ما جدوى فهمٍ لا ينعكس أثره على الواقع؟ وما جدوى هذا الفهم الموضوعيّ الذي غالباً ما يحصل بعد أن تصبح هذه التحولات أمراً واقعاً؟ و ما معنى الحديث عن أهمية حرية التفكير في بناء المجتمعات المتقدمة، و السكوت - في الوقت نفسه - عن الاغتيالات التي تمارس يومياً ضدّها؟. يظّن بعض المثقفين أن في ذلك حكمة!، إذ بدون هذا السكوت لا نستطيع تجنب هيمنة السياسي على الثقافي والفكري، ولكن الذي غاب عن هؤلاء **أن التنازل عن حقّ النقد سيقود حتماً إلى التنازل عن حقّ الصمت، فجشع أصحاب الشوكة لا حدّ له، وكلما ضيّق المثقف من مجالات فعله كلّما ازداد التسلط في بسط نفوذه على فكره، فيتم بذلك الاستيلاء على مناطق الحياد، ويصبح مطلوباً من المثقف أن يصرّح بموقفه وأن يختار صفّه.**

الذي يهمنا في هذا الإطار، تلك الشريحة من المثقفين والمفكرين الذين يؤمنون بأن المفكر الحرّ هو المفكر المسؤول، المفكر الشاهد على عصره، ولكنهم يتساءلون: كيف يمكن أن يكون ذلك كذلك في ظلّ الاستبداد السياسي؟. لا شكّ أنّ الأمر سيكون أقل تعقيداً لو كانت هناك قضية عامة ولكنها واضحة المعالم، تكون قادرة على تأطير الواقع. لقد كان من السهل على المثقّف المسلم في النصف الأول من القرن العشرين أن يختار موقعه، لأن

قضيّة تحرير الأرض كانت البوصلة التي توجّه تفكيره وحركته، وجاء من بعد ذلك شعار توحيد الأمّة، وإن كان ذلك تحت لافتات عديدة، ولكنه شكّل ردّاً مناسباً على واقع التجزئة، ثمّ كان شعار الهويّة الإسلاميّة الذي جاء استجابة لتحدي ثقافة التغريب التي كادت أنْ تشمل المجتمعات الإسلاميّة بأكملها، ولكن حرب الخليج الثانية ألقت بالمثقف المُحبَط وسط أتون العولمة، **ففقد بذلك نقطة الارتكاز، وغاب عنه خطّ السَّير، وتلاشت أمامه نقطة المرمى، وأصبح بذلك تائهاً وسط حركة لولبية فارغة من كلّ معنى، فدخل بذلك فضاء اللامعنى قبل أن يدخل مجتمعه فضاء الحداثة.**

هل يمكن في هذه الحالة أن ننتظر من مفكر تتنازعه استراتيجيات متناقضة أن يكون قاصداً في مشيه، وأن يكون شاهداً على عصره؟ إنّ الأمر يستوجب أولاً تحديد الشعار الذي في إطاره تتضح الرؤية، ويترشّد الفعل. هناك حقيقة تفرض نفسها على الجميع مفادها: أن الغرب يعمل بكلّ وُسعه على أن يظلَّ الحريق مشتعلاً في العالم الإسلاميّ، وذلك بتعميق الصراع بين المجتمع و الدولة، لأنه يعرف أنّ الدولة كُلَّما ازدادت خوفاً من شعبها ازدادت ارتباطاً به، وتبعية له، وأصبح استمرارها رهناً للخدمات التي تقدّمها حتى وإن كان ذلك على حساب مصالح شعبها.

إنَّ الشعار الذي يجب أن يُرفع الآن هو: **كيف السبيل إلى إطفاء هذا الحريق، وترتيب البيت من الداخل؟** سيؤدي التنازل عن مسألة الشرعية إلى المطالبة بتوفير الحدّ الأدنى من الشروط التي بها يتحوّل المنتمون إلى المجتمع الإسلاميّ من موقع الرعايا إلى موقع المواطنين، نعم، نحتاج إلى العودة إلى تلك الصيحة التي أطلقها خالد محمد خالد: "مواطنون لا رعايا". نحتاج إلى إيجاد الفرد الحرِّ، **الفرد الذي يرفض السكوت على الظلم، ولكنّ رفضه رفض حكيم، لا يَقْدمُ على خطوة إلا إذا تأكّد من توفّرِ أسبابها وضمان المكاسب التي تم تحقيقها فلا تكون حركة التغيير دائما عوداً على بدء.**

نعم من حقّك أخي القارئ أن تتساءل عن رسالة المفكر أين هي؟ فعمليّة الترويض المستمرة اختزلت طموحاته في الحفاظ على الحد الأدنى من مصالحه الفرديّة، فلم يتقدَّم الفكر و لم يتغير الواقع، و لكن الأصل في الأشياء أن يكون الإنسان حرّا، رافضا لكل أشكال العبودية ولذلك يجب ألا ينقطع الأمل في يقظة المفكر في المجتمع الإسلامي حتى و إن طالت به فترة التلذذ في ممارسة طقوس العبودية الناعمة فهزّات الواقع ستعيده مُكرَهاً إلى حلبة الصراع.

بهذا الأمل العريض يصدر العدد العاشر من **مجلة التجديد** الذي افتتحه د. ليث سعود جاسم بدراسة حول **الإمام النورسي و ظهور القوميّات،** فرأى أن الربط بين عملية الإصلاح السياسيّ و الاجتماعيّ للمجتمعات الإسلاميّة المنضوية تحت الحكم العثمانيّ وإثارة النعرات الطائفية، كان الهدف منه عرقلة بل القضاء على هذه الإصلاحات المنشودة والتخلص من الكيان السياسي الموحد للأمة آنذاك، من أجل ذلك انصب تفكير الإمام النورسي على الحفاظ على ذلك الكيان الجامع لأمة تنوعت لغاها وتعددت ثقافاها.

في دراسة حول **المضاربة و أهميتها في المعاملات البنكية الإسلامية** بَيَّنَ د.يوسف الرياحي، الأثر الذي تركته في تصرفات المستثمر المسلم و نظرته الى كيفية استثمار أمواله فقد توفرت له الفرصة لترك التعامل بالربا إيداعاً وإقراضاً و ذلك بتفضيله مبدأ المشاركة في الربح و الخسارة، فأدى كل ذلك إلى تغير نوعي في صناعة المال. تعرضت الدراسة أيضاً إلى كشف ومناقشة العوائق والصعوبات التي تحول أمام تنمية البنوك الإسلامية.

من ناحيته حاول د. خالد نايف الحمداني في دراسة **تاريخيّة عن الشُّورى في الإسلام** أن يبرز الأشكال التي تمظهرت فيها مؤكداً على ضرورة ألاّ تكون مظاهر الاستبداد التي عرفناها في تاريخنا حاجزاً لإبراز هذه

النماذج التطبيقيّة للشورى و تطويرها لتكون قادرة على بناء نظرية متكاملة في العلاقة بين المجتمع و الدولة في عالمنا الإسلامي المعاصر.

أما د.عمر سباهتش فقد عاد إلى حادثة **اعتزال واصل بن عطاء** فأبرز سياقها التاريخيّ والسياسيّ والاجتماعيّ محاولاً أن يحدث تحولاً في دلالتها، فإذا كان التصور السَّائد قد جعل منها رمزاً للتصدع والاختلاف، فانَّ الباحث قد رأى فيها تجسيداً لقدرة العقل الإسلامي على الاستجابة للتحديات التي فرضت عليه، تحديات أفرزها التحولات الداخلية، وتحديات كانت نتيجةً لانفتاح المجتمع الإسلامي على الثقافات الأخرى.

ختم د.محمد سعيد ملف البحوث و الدراسات بمقالة حول **ضمير الفصل بين الاستخدام القرآني واللغة العربية** فبيَّن قواعد هذا الضمير واختلاف النحاة حولها و انتهى إلى ترجيح بعض الآراء في ضوء طرق استخدام ضمير الفصل في القرآن الكريم.

في باب نقد وآراء تتبع د.سعيد شبَّار شروط الاجتهاد عند القدامى والمحدثين متوخياً نهجاً معتدلاً بين التشدد و التراخي في ضبط الشروط الأساسيّة التي يجب أن تتوفر في المجتهد.

اشتمل العدد أيضاً على عدد من المراجعات التي تسعى إلى ترسيخ النهج الحواريّ و التفاعل الإيجابي مع الباحثين و المفكرين في مجالات مختلفة.

في العدد أيضاً ملخصات لرسائل جامعية نوقشت في كلية معارف الوحي بالجامعة الإسلامية العالمية، و أيضاً تقرير عن نشاط علمي قام به قسم الدراسات القرآنية والحديثية حول إسهام علماء أرخبيل الملايو في حركة الإصلاح و التجديد التي شهدها العالم الإسلامي في بداية القرن الماضي.

تلك هي مادة العدد العاشر نأمل أن يجد فيها القارئ مادّة علمية مِنْ شأنها أن تدفعه إلى ممارسة حقه في الرد.والله من وراء القصد.